

صناعة المصطلح عند الفارابي

د. نعمان بوقرة^(*)

أ- الفارابي، سيرته وجهوده اللسانية

عرف المهتمون بالفكر الإسلامي والثقافة العربية أبا نصر الفارابي، من خلال جهوده المتنوعة في الفلسفة الإلهية والمنطق وكتابه السياسية والأخلاقية، لكنهم لم يفحصوا آراءه القيمة في ميدان اللسانيات، بشكل مستفيض، خصوصاً عنايته بالصناعة المعجمية⁽¹⁾، فقد بذل فيها الجهد المنظم، من أجل تطويع اللسان لسائر الأغراض المعرفية، وجعل اللغة وسيلة نفعية ونوعية لحصول ملكات العلوم النقلية والخطابية والبرهانية، ولعل عنايته بالألفاظ التقنية، المستعملة بوجه خاص في المنطق والفلسفة والعلوم اللغوية، شاهد صدق على ذلك الفهم المتكامل لقضايا اللسان وأصول مفرداته واشتقاقاته، والوظيفة التداولية للظاهرة المجازية فيه، وكذا إيقاع تلك الصيغ على مدلولاتها على نحو معقول وبصورة تدفع اللبس على المتعلمين، ذلك أن الغرض الأساس من الصناعة المعجمية هو تيسير تعليم المبتدئين أصول المعارف. وفي ضوء هذا السياق عُني الفارابي بتتبع حياة الألفاظ، مستدعياً التطور الذي طرأ عليها في الألسن المجاورة إلى أن استقرت على حالة واحدة مثلتها الصياغة العربية، ذلك أن تكون اللسان

توطئة

شغلت قضية المصطلح الفني اهتمام المفكرين المسلمين في التراث العربي بزخمه وامتداده، وكان لهذا الاهتمام أسباب موضوعية وخصوصيات مرجعية، والظاهر أن الجهود العربية، في خدمة المصطلحية العربية التراثية، تشكل في الحقيقة معالم نظرية استغرق بناؤها زمناً طويلاً، وهذا ما يجعلنا نسميها بكونها نظرية في علم المصطلح. وربما كان المتكلمون أول من اعتنى بهذا المجال المعرفي الذي استرعى انتباه الجاحظ (ت 255 هـ) ويبدو أن من أسباب نضج هذه النظرية الاتصال بالثقافات الأجنبية اليونانية، والفارسية، والهندية، والسريانية، وهذا ما دفع بالمفكرين، على اختلاف تخصصاتهم، إلى الاهتمام بمساءلة اللسان، سابرين أغواره، وبإذليل أقصى الجهد في ميدان الوضع، والقياس اللغوي، والاشتقاق، والنحت، والتوليد، والتعريب، والمجاز. ولعلنا، من خلال هذه الدراسة التأصيلية، نسهم في التعريف بجهود أحد أبرز العلماء المسلمين الذين طوعوا اللغة لخدمة المعرفة النقلية والعقلية، في إطار جهد معجمي مثله الفارابي بكتابه المتميزة.

^(*) جامعة عنابة- الجزائر

وإلى ذلك درس الطب والفلك والإلهيات والفقه.... إلخ، وربما يكون من نافلة القول التذكير بأنه ترك ذخيرة علمية مهمة تأست عليها كثير من التصورات النظرية العربية في مجالات شتى، ناهيك عن تأثيره في غيره، في منهجه وآرائه، من عرب وعجم، إلى درجة أن ما كتب عنه في الثقافات الأخرى يفوق بكثير ما كتب عنه باللغة العربية، ويمكن في هذا السياق أن يشار إلى أهم هذه الأمهات:

- إحصاء العلوم، نشر أحمد أمين، مصر، وترجمه بالثيا إلى الإسبانية.
- معاني العقل، وهي مترجمة إلى أكثر من لغة.
- فصوص الحكم، مترجم إلى الألمانية-مشكوك في نسبته له-
- عيون المسائل.
- آراء أهل المدينة الفاضلة.
- السياسة المدنية، لها ترجمة بالعربية (8).
- كتاب في الخطابة، وقد ذكر بأنه يقع في 20 جزءاً.
- التعليقات، مطبعة حيدر آباد 1933م.
- الألفاظ المستعملة في المنطق، حققه محسن مهدي، 1986.
- كتاب العبارة في المنطق.
- كتاب الخطابة في المنطق (9).

أما الشروح: فقد شرح أرسطو في السماع الطبيعي والعبارة والخطابة والمقولات والمغالطة والجدل والقياس والأخلاق والآثار العلوية، كما شرح، لبطليموس

كنظام يسوغ هذه النظرة التاريخية. ربما يكون من اللازم التعريف بشخصية الفارابي، ذلك أن أغلب المراجع القديمة لم تحقق في شخصيته، بما فيه الكفاية، إلى درجة تتداخل فيها المعلومات حول نسبه وأصله، وتتناقض الروايات أحياناً أخرى، إلا أننا نعرف أنه كان ناطوراً في أحد البساتين ببغداد مما يعكس انكسار حاله وبساطة عيشه (2) والفارابي، فيما تذهب إليه كتب التراجم المعتمدة، هو أبو نصر محمد بن أوزلغ بن طرخان، ولد بفاراب أو فارياب حوالي 870 م الموافق ل 252 هـ، ولم تنقل المراجع شيئاً كثيراً عن نشأته وسنين حياته الأولى، والظاهر أنه تعلم بمسقط رأسه (3)، ثم انتقل إلى بغداد، وهناك أخذ المنطق عن أبي بشر متى بن يونس والتقى بالأصولي اللغوي ابن السراج (4)، وقد كانت حينها قبلة للعلماء في مختلف العلوم وبخاصة العلوم العقلية والمنطقية، إذ سهر الخلفاء أنفسهم على ترجمة أعمال إيساغوجي وجالينوس وأرسطو وأفلاطون والرواقين والسوفسطائية، ولعلمهم أدرکوا فائدة هذه العلوم في الذود عن حمى العقيدة الإسلامية، ثم ارتحل الفارابي إلى دمشق وأقام بجلب، في بلاط سيف الدولة الحمداني، إلى أن وافاه الأجل سنة 399 هـ الموافق ل 950 م، وكان حينها في صحبة الأمير الحمداني في دمشق والتي بها دفن وصلى عليه خلق كبير من علية القوم وخاصتهم (5).

لقد كان الفارابي شخصية زاهدة واسعة المعارف، إذ جمع إلى المعرفة العقلية فناً متعددة مثل الموسيقى والحساب والأدب واللغات (6)، وكان ضليعاً في علم العربية ناظماً جيداً، له أدعية على اصطلاح الحكماء (7)

الحقيقة أن الفارابي، في كتابه هذا، سعى إلى إحصاء الألفاظ الفنية من حيث هي علامات واقعة على العلوم، بل يمكن عد هذا الجهد، على اختصاره، قاعدة بيانات لتأسيس معجم تعريفي، كالذي قدمه التهانوي، والشريف الجرجاني والفنوجي، والخوازمي هذا الأخير الذي تأثر به فيما تأثر، (11) والرازي. هذا وقد أشاد بقيمته التعريفية القاضي صاعد بقوله "ثم له كتاب شريف في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق إليه، ولا ذهب أحد مذهبه فيه، ولا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به وتقدم النظر فيه" (12).

إن ما يجب التأكيد عليه أن الفارابي، في مسارده للمصطلح، قصد خدمة اللسان، ذلك أنه يخاطب المثقفين والأدباء فهم أحوج الناس إلى معرفة فنون العلوم والآداب، أما طريق ضبط هذه المصطلحات فهي، كما أشرنا سلفاً، قائمة على:

ج-الاختراع و التعريب (13): بالرغم من أنه لم يترك مؤلفاً مباشراً في الحدود والرسوم، إلا أن تحديداته وردت متناثرة في مؤلفات مهمة، مثل الألفاظ المستعملة في المنطق، وكتاب الحروف والشمرة المرضية في الرسائل الفارابية، وكذا رسائله، بخاصة الرسالة رقم-11- (14).

لقد مثل الفارابي مرحلة نشوء المصطلح الفني والفلسفي، بالإستناد إلى التعريب والترجمة ثم التعريف، مع محاولة نقل الألفاظ من معناها العام إلى المعنى الخاص، وقد كان هذا الجهد تعبيراً عن نضج اللغة الفلسفية في الترجمات اليونانية إلى العربية، وبخاصة كتب أرسطو. ثم تبعه جابر بن حيان، والخوازمي، وابن سينا (15)، والغزالي، وهذان الأخيران مثلاً مرحلة استقرار المصطلح العلمي وشيوعه في المحافل المتخصصة. (16)

الماجسطي ولأسكندر الأفروديسي، مقالة في النفس (10).

ب - المصطلحات الفنية في كتاب إحصاء العلوم

تناول الفارابي جملة من المصطلحات العلمية السني ينتج عن تفسيرها فهم كثير من الحدود العلمية وطرائق البحث في العلوم، وهي محاولة جادة لإنارة الطريق أمام المتعلمين الدارسين للعلوم النظرية والتطبيقية، وربما يكون من المفيد أن يشار إلى بعضها:

- علم الألفاظ المفردة.

- علم الألفاظ المركبة.

- علم قوانين الألفاظ المفردة.

- علم قوانين الألفاظ المركبة.

- علم الشعر

- علم التعاليم ويتضمن تحديد ما يلي :

علم العدد	علم الهندسة
علم المناظر	علم النجوم
علم الموسيقى	علم الأثقال
علم الخيل	
العلم الطبيعي	الأستقسات
الجسم المفرد	الجسم المركب
الكون	الفساد
العلم المدني	الفقه
الكلام	التصور
التصديق	الممكن
الواجب	الفيض
النفس	الداء السبعي
الخشوع	البهيمية
العقل المنفعل	العقل الفعال

يمكن عددها لغات خاصة تؤدي وظيفة اللغة الشارحة، وهذا ما يمكن من بناء نواة لقاموس متخصص، يستمد منظومته المعرفية من الفلسفة والمنطق وبناء التنظيمي من اللسان العربي⁽¹⁷⁾.

لقد قارب الفارابي مسألة من أهم المسائل التي أثارها الفكر الإسلامي وهي التسمية وطبيعة علاقة الاسم بعسماءه، وقد امتد النقاش في هذه القضية إلى حقول معرفية أخرى⁽¹⁸⁾، وأخذت المسألة بعداً غيبياً، وسيسمح هذا النقاش بفحص كل التصورات المنهجية التي تقف كمعادل موضوعي لعلاقة المصطلح بالوظيفة النغمية للسان في حياة الجماعات، وتكشف عن الاجتهاد العربي في مجال تقنين المصطلحات العلمية المتخصصة، وكذا الاستنجا ببعض الأسس المنهجية في وضع المصطلحية وضبطها، وفق سنن التطور اللساني وخصائص العربية، وحاجة المجتمع بعامة والفئات المتخصصة. لقد وضع الفارابي، على حد تعبير ماسينيون، القواعد الأساسية للمصطلح الفني، أما قبله فقد أخذوا طرقاً أخرى مختلفة⁽¹⁹⁾.

د- تكوين اللسان

ينطلق الفارابي من مبدأ مهم، في تفسيره لظاهرة تكوين اللسان، هو مبدأ الخفة بقوله: اللسان يتحرك إلى الأسهل، وهذا المبدأ لا يوظف لساناً بعينه بل هو ميزة عامة لكل الألسن، وهذا ما يقرب آراءه من التصورات اللسانية الحديثة، في بعدها الشمولي، ولعل تصوره للنسق اللساني الفنولوجي دليل على ذلك، إذ يقول: "ولأن هذه إذا جعلوها علامات أولاً كانت محددة العدد لم تف بالدلالة على جميع ما يتفق أن يكون في ضمائرهم، فيضطرون إلى تركيب بعضها إلى بعض بموالاتة حرف

إن محاولة الاقتراب من النص الفارابي، في أبعاده التعريفية و الدلالية و تفكيك بنيته الفلسفية ذات التركيب اللساني، يفرض على الدارس اليوم بذل الكثير من الجهد من أجل استشراف عوالم دلالية جديدة يزخر بها النص القديم، خصوصاً وأن هذا النص تحمل أعباء عرضه نظرية لسانية تصف انفتاح اللسان على مفاهيم ومعان وقواعد مختلفة باختلاف المعارف التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية، والتي تشبع بها كأحد أقطاب الفكر الإسلامي فهو، كما وصفه مصطفى عبد الرزاق وعاطف العراقي، فيلسوف العرب ومفكرهم ومؤسس فلسفتهم العربية، في ضوء إعادة ترتيب لمعجمها الخاص المؤسس على خصائص العربية في التعرف والبناء والاشتقاق والمجاز، إذ من المتعارف عليه، بين كثير من الدارسين، أن أكثر النصوص وأشهرها في مجال المصطلحية تلك التي قدمها الفلاسفة.

إن المنهجية الفارابية في التطبيق المعجمي، قائمة على توضيح المفاهيم المفردة، بالاعتماد على الألفاظ المفردة، أو كما عبر بكونها أجناس الأشياء البسيطة التي يقع الكلام عليها، وبالتالي الحديث على كل الصنائع المنطقية، بالاعتماد على إبراز الفروق الدلالية بين الأسماء المفردة الدالة على أجناس المعقولات المفردة، مما يمكن لاحقاً من فحص الفروق بين الدلالة اللسانية العامة و الدلالة التقنية الخاصة. إن جهود الفارابي لم تنطلق من فراغ، بل كانت مؤسسة على خلفيات معرفية منها اللساني ومنها الفلسفي ومنها المنهجي، وبالتالي سنجدّه يستنير بكل ما أنجزه الآخرون كالكندي، من الفلاسفة وعلماء صناعة المعجمات والنحويين، وفي هذا السياق تزل تفكيره اللساني في أصل الألسن وتكونها وتطورها، وتغير الألفاظ على المستوى الدلالي والتداولي، بخاصة الألفاظ التقنية التي

قائلين إنها مقارنة للسان من الداخل، ذلك أنها تبحث في طبيعته ووظيفته، وهذا ما يجعل من التفكير في المسألة، منذ البدء، موسوماً بسمة ذرعية.

وعلى صعيد الوظيفة التداولية للسان يبين الفارابي كيفية شيوع الألفاظ وانتشارها، فيقول:

الناس تتفق على ألفاظ محددة فيما بينهم، معروفة معانيها ودلالاتها لهم، وقد يستعمل الواحد تصويتاً أو لفظاً في الدلالة على شيء ما عندما يخاطب ذلك فيستعمل السامع ذلك بعينه عندما يخاطب المنشيء، فيحفظ السامع الأول لتلك اللفظة، ويكون السامع الأول قد احتذى بذلك فيقع به فيكونان قد اصطلحا وتواطنا على تلك اللفظة، فيخاطبان بها غيرهما إلى أن تشيع عند الجماعة، وهكذا تحدث الألفاظ والتصويبات واحداً بعد آخر ممن اتفق من أهل ذلك البلد... ولا يزال يدبر أمرهم إلى أن توضع الألفاظ لكل ما يحتاجون إليه في أمورهم فتصبح الألفاظ متداولة بينهم⁽²³⁾.

وربما كان هذا فحصاً لمراحل نشأة المعارف التي تبدأ في النشوء والتكون عندما تقيم جماعة في مسكن واحد وبلد واحد فيفطر أفرادها، بتأثر ظروف المناخ ووسائل العيش، على استخدام التصويت، فتنشأ اللغة،⁽²⁴⁾ وذلك بأن تستقر الألفاظ على المعاني ثم يعمد المتكلمون إلى النسخ والتجوز والاستعارة في العبارة، فتكثر الألفاظ ويستبدل بعضها ببعض، إلى أن تحدث الصناعات الخطبية ثم الشعرية⁽²⁵⁾.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، إذ يعمد أفراد المؤسسة الاجتماعية إلى حفظ هذه الصناعات، المعبر عنها

حرف، فتحصل في ألفاظ من حرفين أو حروف فيستعملونها علامات أيضاً لأشياء أخرى⁽²⁰⁾، والمقصود أنه انطلاقاً من عدد محدود من الفونيمات يمكن التأليف بينها لإنتاج عدد كبير من الألفاظ الدالة على معاني الأشياء، والحروف المقصودة-هنا- هي الحروف المعجمة لا الحروف المهملة، وهي التي عنها ابن دريد في كتابه الجمهرة: فأول ما يحتاج إليه الناظر في هذا الكتاب، ليحيط بعلمه بمبلغ عدد أبنيتهم المستعملة والمهملة، أن يعرف الحروف المعجمة التي هي قطب الكلام بمخارجها و مدارجها وتباعدها وتقاربها، وما يأتلف منها وما لا يأتلف وعلّة امتناع ما امتنع من الائتلاف وإمكان ما أمكن...⁽²¹⁾.

إن عناية الفارابي بالحروف المعجمة تنزل في سياق وصفه لعناصر تكون اللسان، المتمثلة في الوحدات المعجمية الدالة بالوضع والألفاظ الدالة على وجه خاص في المنطق، يقول: فينشأ من نشأ فيهم على اعتيادهم النطق بحروفهم و ألفاظهم الكائنة منها وأقاويلهم المؤلفة من ألفاظهم من حيث لا يتعدون اعتيادهم ومن غير أن ينطق عن شيء إلا لما تعودوا استعمالها، ويمكن ذلك اعتيادهم لها في أنفسهم و على ألسنتهم حتى لا يعرفوا غيرها، وحتى تحفو ألسنتهم عن كل لفظ سواها وعن كل تشكيل لتلك الألفاظ غير التشكيل الذي تمكن فيهم وعن كل ترتيب للأقاويل سوى ما اعتادوها.⁽²²⁾

إن تبينا لمجمل تصورات الفارابي اللسانية يفضي إلى الاعتراف بأن تفكيره ليس وصفاً لأصل مفترض في اللسان ولا رغبة في إعادة تكوين فرضية لبداية تشكله، ولكن سعياً إلى تحليل اللسان بوصفه منظومة عناصر وظيفية مهمته نقل المعرفة وإقامة الاتصال، وربما نزع

والرياضيات، والفلك، والطب، والهندسة... إلخ. ويزيد الفارابي القضية بياناً بفحصه للوظيفة التداولية للسان، في علاقتها بالمستوى المعجمي، مشيراً إلى دور مجموعة من الحكماء العارفين باللسان في إثراء معجمه، وربما أمكن تشبيه دورهم بالمجامع اللغوية المحدثة لهذا الغرض، وتقف وظيفتهم حربه عند:

أ- تركيب ألفاظ لم تكن مركبة من قبل، وتفعيلها لسانياً يجعلها مرادفة للألفاظ المشهورة.

ب- إحياء المصطلحات المهجورة في الاستعمال وإشاعتها بين المتعلمين. (28)

ج- إهمال الألفاظ التي لم يعد لوجودها مبرر معرّفياً.

د- تخليص اللسان من الألفاظ العسيرة في النطق، واستبدالها باليسيرة في النطق والسمع.

هـ- ضبط القواعد التي تسمح باكتساب تراكييب فصيحة، منسجمة مع معاني النفس.

و- تعليم النشء، بالاعتماد على النصوص، قراءةً وتسميعاً وحفظاً، حتى يعتاد عليها (29).

إن هذه المؤسسة، بحكمتها وحفظتها ورواها، تعد صمام الأمان لحفظ توازن المنظومة اللسانية، وتداولية القاموس اللغوي ونموه، وفق متطلبات الحياة، وهذا ما عبرت عنه الجملة التالية: "... والغابر يحفظ ما أنجزه الماضي... (30). وبالتالي، سيكون هناك تواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل، في سياق تشكيل اللسان العام واللغات النوعية الخاصة بالعلوم، ولعل هذه الفكرة تشبه في مضمونها ما قرره الأزهرى (ت 970 هـ) وهو معاصر للفارابي، في إشارته لدور المعجمي في حفظ اللسان،

بالفاظ اللسان بوساطة الكتابة، ثم يظهر علم اللسان تنويجاً لجهود حفظ مفردات اللغة، بعد تحقق سماعها من أفواه الناطقين بها، ثم تأتي مرحلة التعيد للمنظومة النحوية المشكلة للمنوال اللساني الذي سيرسخ تدريجياً في أذهان المتعلمين، ويحتاج غالباً، في هذا السياق، إلى تحديد المصطلحات التي تكون مفاتيح العلم في العملية التعليمية.

أما المعارف العقلية الاستدلالية، فتتمثل المرحلة الثانية في سلم التطور المعرفي بتعدد أبعاده اللسانية والمنطقية والاجتماعية والنفسية فتحدد -عنده- برغبة النفوس إلى معرفة أسباب الأمور المحسوسة في الأرض وفيما يحيط بحياة الإنسان ولعل هذه الأشياء، سالكين مسالك متعددة، أولها الطرق الخطبية ثم الجدلية ثم الرياضية، إلى أن تتحدد في النهاية معالم العلم المدني أو الفلسفة النظرية، وعلى المستوى التعليمي لها، يوصى باتباع طرق التخيل وضرب المثال لأن ذلك هو الأقرب لأفهام الجماهير وهي مهمة خاصة بالفلاسفة (26).

ومن صور تكون القاموس اللساني، توليد الصور البلاغية التي تسمح بتطور الذخيرة اللسانية، وإغناء المعارف بالألفاظ المرافقة للمعاني اللامتناهية، ولعل النص التالي يوضح صحة ما ذهب إليه. يقول الفارابي: "صار الناس بعد ذلك إلى النسخ والتجوز في العبارة بالألفاظ فعبر بالمعنى بغير اسمه الذي جعل له أولاً وجعل الاسم الذي كان لمعنى ما راتباً له دالاً على ذاته عبارة عن شيء آخر متى كان له به تعلق، ولو كان يسيراً إما لشبه بعيد، وإما بغير ذلك، من غير أن يجعل ذلك راتباً دالاً على ذاته" (27).

إن هذا التجوز، سيجد له ميداناً خصباً في مجالات متعددة، كالنحو، والبلاغة، والمنطق، والفلسفة، والأدب،

لم تكن لها عندهم أسماء، إذ لم تكن معلومة عندهم قبل ذلك، فإما اخترعوا لها ألفاظاً من حروفهم، وإما نقلوا إليها أسماء أقرب الأشياء إليها. (34) ويذهب الفارابي بعيداً على صعيد البعد المعرفي في عملية ترجمتها من حيث تأكيده على ضرورة أن يعرف المترجم اللغتين، يقول: فإن على أهلها أن ينظروا إلى الألفاظ التي كانت الأمة الأولى تعبر بها عن معاني الفلسفة، ويعرفوا عن أي معنى من المعاني المشتركة معرفتها عن الأمتين هي منقولة عن الأمة الأولى فإذا عرفوها أخذوا من ألفاظ أمتهم الألفاظ التي كانوا يعبرون بها عن تلك المعاني العامية بأعيانها فيجعلوها أسماء تلك المعاني (35). كما يرشد الفارابي، في حال غياب دلالات في لسان ما، أن تختار ألفاظ من حروف اللغة، فإن تعمّر ذلك، يمكن الالتجاء إلى التشريك في المعاني، وإما يعمد إلى تغيير طفيف بمس كيفية نطق اللفظة، في حال وضعها الأول، مما يسهل على المتكلم استخدامها في وضعها الثاني (36) وهذا النوع من التكيف يميل إلى تبني المصطلحات كما هي، تعبيراً ومفهوماً، وربما كانت هذه الفكرة امتداداً للفحص اللساني الذي قام به الخليل بن أحمد في أبنية الكلام العربي، فقد نص في كتابه العين على أن ورود الكلمة الرباعية أو الخماسية، معرأة من أحرف الذلاقة أو الأحرف الشفوية، دليل على خضوعها للتعريب، أو أنها ليست من أصل عربي، فقد تكون فارسية أو سريانية أو رومية (37)، وقد ضرب الفارابي نفسه أمثلة على الاستفادة من الاشتقاق في ابتكار الألفاظ ذات الدلالة الخاصة مثل: الإنسانية والرجولة والبنائية، مما يجري مجرى المصادر والمصادر الصناعية، وتذهب بعض الدراسات إلى أنه أول من استعمل المصدر الصناعي في توليد الألفاظ مثل: العالمية والإنسانية والرهبانية، حتى توسع في ذلك فصار من مادة

وصيانة اللسان، بالاعتماد على السماع والمشاهدة (31).

ولا بد في مبدأ السماع، الذي يعول عليه في تحصيل الذخيرة اللسانية، من الاعتماد على ما يمكن تسميتهم بالمتكلمين المستمعين المثاليين، أو العرب الفصحاء الذين لا يختلف في سلامة ألسنتهم من العجمة، وهم الذين اكتسبوا، بفعل عاداتهم اللسانية التي يمارسونها دون انقطاع، قدرة وكفاءة تحميمهم من اكتساب ألفاظ أخرى غير التي تتألف من حروفهم الخاصة، بل المطلوب أن تطلب هذه الألفاظ ممن يعسر عليهم تخيير حروف أخرى، ونطقها غير التي في لسانهم، وهي المثالية المطلوبة (32).

وعليه يمكن أن يرافق تكوين القاموس الاهتمام بالشروط الضرورية التي يجب تحققها في المخبر اللساني والذي يجب أن يكون منتصباً إلى سكان أعماق الصحراء. هذا، وقد حدد الفارابي البعد الجغرافي الذي يؤطر جملة القبائل المحتج بفصاحتهم وعليها التُّكلان، في الغريب والإعراب والتصريف.

وعلى صعيد ترتيب نشوء المعارف زمنياً، وتزل العلاقة الرابطة بين الديني والفلسفي، وضمن ارتقاء المعرفة من النمط الخطابي إلى النمط الجدلي، يفحص الفارابي أثر الدين والفلسفة في تطوير القاموس اللساني. فبالنسبة للدين، يمكن معانية:

1- تدخله في ابتكار ألفاظ جديدة أو نقلها من دلالاتها الوضعية إلى أخرى. (33)

2- أما الفلسفة، فحالتها لا يختلف عن حال الدين، وهذا ما أفصح عنه في قوله: "... وإن حدث فيهم الجدل أو السفسة واحتاج أهلها أن ينطقوا عن معان استنبطوها

أصحاب العلوم، ولذلك إنما يعرف أصحاب النحو من دلالات هذه الألفاظ دلالاتها بحسب ما عند الجمهور، لا بحسب ما عند أهل العلوم. قريب منه في الحروف قوله: .. ومما ينبغي أن تعلمه أن لفظاً، على شكل ما وبنية ما، يكون دالاً بنفسه على شيء ما بمعنى أو على معنى بحال ما، ثم يجعل ذلك اللفظ بعينه دالاً على معنى آخر، مجرد عن تلك الحال فتكون بنيته بنية مشتق يدل في شيء ما على ما تدل عليه سائر المشتقات، ويستعمل بتلك البنية بعينها في الدلالة على معنى آخر، مجرد عن كل ما تدل عليه سائر المشتقات⁽³⁸⁾. وهذا يقود حتماً إلى الإقرار بأن الألفاظ المستعملة في العلوم يمكنها أن تكون ذات معان ليست من معاني اللغة اليومية المتداولة، وهذا ما دفع بالعلوم، عبر التاريخ، إلى أن تتخذ لها معاجم خاصة تكون ألفاظها مداخل للمفاهيم.

ويواجهنا الفارابي، في عملية إعداد القاموس التقني، بقاعدة جوهرية إذا كان متعلقاً بمعرفة منقولة من فكر لآخر، عن طريق التعريب والترجمة، وهي ضرورة الانتباه لمعقولية اللفظ في علاقته بالمعنى، ذلك أن الألسن تقطع العالم كحقائق بمضامين مختلفة، وبالتالي قد يحدث اختلاف في المفاهيم وهذا ستكون له تبعات وخيمة في وضع مقابله باللسان الثاني، كما سيقع المتعلم ضحية لهذا اللبس، لقد وجدنا لهذا التصور النظري تمثلاً تطبيقياً في كتاب التقريب لفن المنطق، لابن حزم الأندلسي، الذي استشعر، على المستوى البيداغوجي، إشكالية وضع المصطلح وتعريبه وترجمته ثم تعليمه والاستشهاد له بالأمثلة العامة التي تمثل عنده اللسان العام الذي تحدث عنه الفارابي⁽³⁹⁾.

ز- مشكلات الترجمة

ثم ملاحظة تجب الإشارة إليها في سياق عناية

اللسان، ممهداً إلى ظهور جم غفير من المصطلحات الفنية.

هـ- التسمية

إن أصل التسمية، نابع عن اضطرار الإنسان للتعرف على كل ما يحتاجه مما يرتبط بأعماله في الحياة، وعلاقته بالآخرين وكذا ما تقع عليه حواسه، وهذا ما يسوغ تعالق التسمية بالمعرفة الحسية، من حيث هي أساس المعرفة العامة أو العلمية، إن صح هذا الوصف.

وعلى صعيد آخر، يقرر الفارابي ترابط الألفاظ بالمعاني على نسق منطقي مرتب ينفي سمة الاعتباطية عن التسمية، وربما نفهم ذلك من قوله: وهكذا يطلب النظام في الألفاظ تحريماً لأن تكون العبارة عن المعاني بالألفاظ شبيهة بتلك المعاني، وهذا ما يضيء على التسمية السمة المنطقية بهدف تمييز ما هو ثانوي في اللسان عما هو أساسي، ثم إعادة بنائه استدلالياً، تحقيقاً للدقة ورفعاً لللبس.

و- اللسان الخاص ومنظومات المعارف

قد يكون من الممكن بعد عرض عناية الفارابي بتكون اللسان كأداة منظمة للتبليغ تفحص تحليله في ميدان اللسان الخاص أو ما يصطلح عليه بلغات العلوم انطلاقاً من مسلمة تعبر عن اختصاص كل صناعة بقاموس لفظي تقني تلعب الألفاظ فيه دور الدوال المحيطة على مدلولات معينة، يقول في كتابه الألفاظ: .. وينبغي أن نعلم أن أصناف الألفاظ، التي تشتمل عليها صناعة النحو، قد يوجد منها ما يستعمله الجمهور على معنى، ويستعمل أصحاب العلوم ذلك اللفظ بعينه على معنى آخر. وصناعة النحو تنظر في أصناف الألفاظ بحسب دلالاتها المشهورة عند الجمهور، لا بحسب دلالاتها عند

في صياغة العقل العربي وتوجيهه نحو التفكير في المسائل الكونية، وجعله أكثر فعالية وإنتاجية.

وفي هذا السياق، أوصى الفارابي بضرورة الاعتماد على قوانين تشترك فيها الأمم، ولا ينظر في شيء مما يخص ألقاظ أمة ما، بل يؤخذ من ذلك عند أهل العلم بذلك اللسان⁽⁴³⁾.

ح- الممارسة المعجمية عند الفارابي

ترجم مؤلفات الفارابي في مجملها وعيه ووعي معاصريه، من نحويين وفلاسفة ومتكلمين، بتاريخ تكون اللسان والعوامل التي ساعدت على تكون القاموس اللساني للمعارف النقلية والعقلية بوجه عام، سواء أعلق الأمر بالثقافة العربية أم بالثقافة الوافدة، مما يعطي بعداً شمولياً للرؤية المنهجية، ويسمح لها بأن تقدم نفسها كأساس لنظرية أصيلة في المعجمية العربية، وربما كان من اللازم أن يعرض إلى كيفية تمثل الفارابي نفسه للمقترحات النظرية التي قدمها، ورغم عدم قدرتنا على إجراء جرد كامل للألفاظ الدالة على المفاهيم الفنية المتخصصة، والتي تمثل جانباً من الذخيرة اللسانية الحية في الاستعمال الفلسفي والأدبي والمنطقي، إلا أننا نشير إلى بعض الملاحظات الجزئية ذات الخصوصية اللسانية والتعليمية، ذلك أن تحديد المصطلحات وضبط قوائمها يسر للدارس سبيل التحصيل العلمي⁽⁴⁴⁾، ومن أمثلة ذلك الألفاظ التالية: أنالوطيقا، ريطوريقا، سوفسطيقا، طوييقا، إيساغوجي، الذات، الجوهر، المحاكاة، العرض... وللتوسع في هذه المسألة يمكن أن نأخذ، من كتابه الحروف، لفظة العرض لنبين دلالتها.

يذكر الفارابي أن لها دالتين: أولى لسانية، وهي

العرب بالصناعة المعجمية تتمثل في وقوفهم عند إشكالية الترجمة، إذ إن اللغة قد تأثرت بالمراحل التي مرت بها الترجمة، فالكلمات المنقولة إلى العربية مرت برحلة طويلة، فمن اليونانية إلى السريانية، ثم إلى العربية، وأحياناً من الهندية، وكل ذلك قد أخل بالمعنى الحقيقي، إذ من الأكيد أن اللفظ إذا ابتعد عن موطنه وسياقه تطرأ عليه معان جديدة وتغيرات تفسد بينته الشكلية، والأمثلة على ذلك كثيرة، وهذا سيحمل المترجم طاقة كبيرة ليستمكن من مقارنة المعنى الحقيقي وتوفير اللفظ المناسب⁽⁴⁰⁾ الذي سيسمح للسامع بتحديد المعنى المراد في موطنه الجديد، بعد المعنى الذي كان له في موطنه القديم. لقد أدت هذه القضية إلى طرح الإشكاليات التالية:

- صعوبة فهم معنى اللفظة المستعارة لدى القارئ العربي، أو صعوبة تحديد المصطلح اليوناني في حقل من الحقول المعرفية، واقتضى هذا اللجوء إلى التعريب مثل:

الأنالوجيا القياس Analogie

ناموس قانون Namus

كاتيغورياس المقولات Kategrias

- غياب أدق القواعد الضابطة لعملية انتقاء الألفاظ الدالة على المعاني الأصلية.

- اللجوء إلى تحريف المعاني الأصلية، طلباً لإحداث التوافق المفهومي في الذهنية الإسلامية والعربية⁽⁴¹⁾.

- غلبة النظرة الحسنة للقضايا على التصور التجريدي، مما يطرح مشكلة مقابلة المعاني الميتافيزيقية على بساط النقاش، وهذا ينم عن اختلاف الألسن في تقطيع العالم الخارجي، وبالتالي التحكم في نظرة المجتمع للكون⁽⁴²⁾. والحق أن لهذه الترجمات المتعددة دوراً فعالاً

والتصويت، ملتصقاً بالدلالة على ما في ضميره (49).

الملكّة:

والثالث القوة النفسانية المفطورة في الإنسان التي بها يميز التمييز الخاص بالإنسان دون ما سواه من الحيوان، وهي التي يحصل الإنسان بها المعقولات والعلوم والصنائع، وبها تكون الرؤية، وبها يميز بين الجميل والقبيح من الأفعال، وهي توجد لكل إنسان، حتى في الأطفال، لكنها نزرّة لم تبلغ بعد أن تفعل فعلها. (50)

الخاتمة

إن البحث الفلسفي العربي القديم، الذي تشكل بفعل مجموعة من العوامل، كان له الفضل الكبير في إثراء الذخيرة اللغوية للعربية وتقدم بدائل موضوعية تسهم في حل إشكالية المصطلح الفني الذي ظل هاجس الدارسين على اختلاف تخصصاتهم، قديماً وحديثاً، في الشرق أو في الغرب، ولعلنا نكون الأكثر تضرراً، في مجال ضبط المصطلح وتوحيده بل وضبط المنهجية ذاتها والتي تسمح لنا بفحص جميع الأدوات التي تمكن من إغناء اللسان العربي وجعله أكثر فعالية في الحراك الثقافي والعلمي والاقتصادي، وربما نكاد نجزم بأن أهم سبب في ظهور إشكالية المصطلحات هو عدم تحكمنا في التقدم العلمي بمختلف مستوياته، والدليل على ذلك أن القدماء لم يعانون من هذه الإشكالية إلا الشيء القليل، في بداية تشكل دولتهم، لأنّ في النهاية فنقول بأن الأزمة ليست في اللسان كما أنّها ليست في كيفية وضع المصطلح بل في الإنسان العربي ذاته، وطريقة تفكيره وعلاقته بالآخر، في ظل المتغيرات الحضارية الراهنة وما تطرحه من إشكالات على الصعيد المعرفي والمفهومي والمنهجي.

كل ما كان نافعاً في الدنيا، كما يقال على كل حادث سريع الزوال، أما الثانية فمنطقية، وهي الصفة المتعلقة بأمر ما لم يكن محمولاً على الموضوع، ولم يكن المحمول داخلًا في ماهية الموضوع أصلاً (45).

الجوهر

ما قيل عن العرض يقال عن الجوهر، فهذا اللفظ يدل على:

- المعدن النفيس.

- الجانب المعنوي والأخلاقي.

- الماهية أو الصورة.

المحاكاة

تدل هذه اللفظة على أحد معنيين هما: التشبيه والظلال المنعكسة في المرآة (46).

الفلسفة

اسم الفلسفة يوناني، وهو دخيل في العربية، وهو على مذهب لساهم فيلسوفاً ومعناه أثار الحكمة، وهو مركب من فيلا، ومن سوفيا، ففيلاً الإيثارة، وسوفيا: الحكمة والفيلسوف على مذهب لساهم فيلسوفوس (47).

إن تحديدات الفارابي، الاصطلاحية تهدف إلى ترسيخها في اللسان والاستعمال، ولعله كان يرى ضرورة نقل العقل العربي من مرحلة التجريد الأولى التي توضع فيها الألفاظ، بهدف إقامة التواصل، إلى مرحلة ثانية أكثر جاهزية في الكشف عن العلاقة بين الألفاظ والأقويل من الناحية المنطقية (48).

القول:

القول مركب من ألفاظ، والنطق والتكلم هو استعماله تلك الألفاظ والأقويل وإظهارها باللسان

المصادر والمراجع

- الفارابي، (أبو نصر ت 339هـ) 11- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، دار الرسالة، بيروت، ط 3، 1413 هـ. زينب عقيقي
- 1- إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 03، 1968.
- 2- الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق محسن مهدي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1968.
- 3- الحروف، تحقيق محسن مهدي، بيروت، 1970.
- 4- رسالة في قوانين صناعة الشعر، ضمن كتاب فن الشعر لعبد الرحمن بدوي.
- ابن أبي أصيبعة (موفق الدين بن يوسف ت 668 هـ)
- 5- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، دت.
- الأزهري (محمد بن أحمد بن الأزهر)
- 6- تهذيب اللغة، تحقيق محمد عبد السلام هارون، القاهرة، 1964
- جوزيف شريم
- 7- الفارابي، أعلام الفكر العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1960.
- جيرار جيهامي
- 8- الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية، دار الشرق، بيروت، 1994.
- روزنتال، (فرا نو)
- 9- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس، فريجة، 1961.
- ابن دريد، (محمد بن الحسن)
- 10- جمهرة الكلام، ط الهند.
- الذهبي (عبد الحمي بن أحمد الدمشقي ت 1089 هـ)
- 11- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، دار الرسالة، بيروت، ط 3، 1413 هـ. زينب عقيقي
- 12- فلسفة اللغة عند الفارابي، تصدير عاطف العراقي، دار قباء، القاهرة، 1997.
- حاجي خليفة (أحمد بن مصطفى ت 1067)
- 13- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، 1982.
- ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد ت 456 هـ)
- 14- التقريب لحد المنطق المدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية، تحقيق إحسان عباس، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1959.
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين ت 681 هـ)
- 15- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط 02، 1968.
- الخليل (ابن أحمد الفراهيدي)
- 16- العمى، تحقيق عبد الله درويش، بغداد، 1967.
- صاعد الأندلسي
- 17- طبقات الأسم، نشر لويس شيخو، 1912.
- عبد الأمير الأعشم
- 18- المصطلح الفلسفي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 02، 1989.
- عبد السلام بن عبد العال
- 19- الفلسفة السياسية عند الفارابي، دار الطليعة، بيروت، ط 2.
- علي عبد الواحد والي
- 20- علم اللغة، مكتبة النهضة، القاهرة، ط 04، 1947.

- الفنوجي (صديق بن حسن ت 1307 هـ)
- 21- أجمد العلوم الشهي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.
- الكاتب، نجم الدين
- 22- الشمسية في القواعد المنطقية، تحقيق مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1998.
- لويس ماسينيون
- 23- محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية، ترجمة زينب الحضري، المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، 1913.
- الهوامش**
- 1- زينب عفيفي، فلسفة اللغة عند الفارابي، ص 8، وانظر جحرار جيهامي، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية، ص 101،
- 2- عيون الأنباء، 1/603.
- 3- جوزيف شرم، الفارابي، أعلام الفكر العربي ص 16 و 17.
- 4- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 1/606.
- 5- ابن خلكان، وفيات الأعيان، 5/154 وياقوت الحموي معجم البلدان، 5/145، وابن الندم، الفهرست ص 368. وصاعد، طبقات الأمم، ص 53.
- 6- الفنوجي، أجمد العلوم، 2/104.
- 7- الذهبي، سير أعلام النبلاء، 15/416.
- 8- في أهمية الفلسفة السياسية عند الفارابي، انظر عبد السلام بن عبد العال، الفلسفة السياسية عند الفارابي.
- 9- الكاتب، نجم الدين الفزويني، الشمسية في القواعد المنطقية، ص 12.
- 10- حاجي خليفة، كشف الظنون، 1/682.
- 11- عبد الأمير الأعمش، أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، بيروت ط 02، 1983، ص 259.
- 12- صاعد الأندلسي، طبقات، الأمم، ص 62.
- ابن، النديم (محمد بن إسحاق ت 438 هـ)
- 24- الفهرست، تحقيق مصطفى الشويبي، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله ت 626 هـ)
- 25- معجم البلدان، مطبعة الخانجي، مصر 1906.
- 26- **TROUBETZKOY**, Principes de phonologie, tra Cantinean, Paris, p 54.
- 13- عبد الأمير الأعمش، المصطلح الفلسفي، ص 61.
- 14- طبعت الرسالة الأولى في ديتريصي سنة 1890 بليدن، والثانية بجيدر آباد، سنة 1926.
- 15- انظر تأثير مدرسة الفارابي في أعمال ابن سينا في شذرات الذهب 349/1.
- 16- الأعمش، إنجازات الفارابي المنطقية، مجلة دراسات الأجيال، عدد 5، سنة 1983، ص 165.
- 17- جحرار جيهامي، الإشكالية اللغوية، ص 35.
- 18- أنظر رأي الفارابي في التقاء النحو بالمنطق في إحصاء العلوم، ص 54 وكتاب الحروف، ص 137 ويمكن متابعة مقالة بيومي مذكور، منطق أرسطو والنحو العربي، مجمع فواد الأول، 1948.
- 19- لويس ماسينيون، نظرات في تاريخ الإصطلاحات الفلسفية العربية، ترجمة زينب الحضري، ص 06.
- 20- الحروف، ص 136.
- 21- ابن دريد، الجمهرة، ص 04، عاصر الفارابي ابن دريد ولعله اطلع على طريقته في الصناعة المعجمية.
- 22- الحروف، ص 141.
- 23- الحروف، ص 137.

- 24- الحروف، ص 134.
- 25- المصدر نفسه، ص 141.
- 26- الحروف، ص 152.
- 27- المصدر نفسه، ص 141.
- 28- كانت هذه الطريقة متبعة عند الكندي الذي حاول توليد الألفاظ، مستعينا بمبدأ القبول في اللسان، مثل كلمات: جوهر، عرض، نوع شخص، صورة، عنصر، الأيس، رسالة الحدود والرسوم، ص 192.
- 29- الحروف ص 143.
- 30- الحروف، ص 143، ولعل هذا الحفظ سيكون أكثر جلاء حين تنوب الكتابة، كاختراع مهم في الحضارة الإنسانية، عن الذاكرة والشفاهية، وهنا ما أدركه الفارابي، ص 144.
- 31- الأزهرى، تهذيب اللغة، 06/1.
- 32- الحروف، ص 145، ربما أتاحت لنا هذه الفكرة تفحص بعض الآراء الفنولوجية المعاصرة، كالتى نجدها عند ترويتسكوي، في كتابه مبادئ الصوتيات، الذي يبين فيه اعتماد الإنسان على منظومة لغته الأم، حتى إذا سمع آخر يتكلم بلغة أخرى فإنه، لا إرادياً يعود إلى محكمته الفنولوجية لتمييز الفونيمات، أنظر :
- TROUBETZKOY. Principes de phonologie, tra ; jCantinean, p 54.67
- 33- الحروف، ص 157.
- 34- الحروف، ص 157.
- 35- الحروف، ص 157.
- 36- المصدر نفسه، ص 157.
- 37- الخليل، العين، ص 52. وانظر، في هذا المجال، بعض الأمثلة عند على عبد الواحد واني، علم اللغة ص 50 وما بعدها.
- 38- الحروف، ص 71، وهذا ما حمل المحقق يدافع بقوة عن قيمته داعياً إلى ضرورة إفراده بقراءه لسانية، في ضوء العلاقة التي تربط تطور العلوم ونمو الثروة اللسانية، ص 27، وقد ألمح إلى ذلك أيضاً عاطف العراقي، كتاب الحروف للفارابي وأهميته في
- بجال الفكر الفلسفي العربي، ص 01.
- 39- الحروف، ص 159، وانظر ابن حزم، التقريب لحسد المنطق، المقدمة ومواضع متفرقة من الكتاب.
- 40- رُوَزَنْتَال، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريجة، بيروت، دار الثقافة، 1961، ص 3، وانظر هذا المعنى عند التوحيدي، المقابسات، تحقيق محمد توفيق حسين الإرشاد، بغداد، 1970 ص 114.
- 41- جبرار جيهامي، الإشكالية اللغوية، ص 16.
- 42- اللغة والتفسير والتواصل، ص 133.
- 43 الفارابي، إحصاء العلوم، ص 62.
- 44- يبدو أن دراسات نوعية وافية، عن طريق الحاسوب، أجريت لجرد معجم الألفاظ الفنية عند الفارابي، قام بها مستشرقون بمعية معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، بإشراف د/لخضر غزال.
- 45- الحروف، ص 95.
- 46- الفارابي، رسالة في قوانين صناعة الشعر، ضمن فن الشعر لعبد الرحمن بدوي، ص 149، والحروف، ص 128.
- 47- نقله ابن أبي أصيبعة، عن الفارابي، في عيون الأنباء، 604/1.
- 48- كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، ص 44.
- 49- إحصاء العلوم، ص 45.
- 50- إحصاء العلوم، ص 73.